أبعاد الشخصية القائمة على التعدد الثقافي

د. أحمد أوزي *

"إن احترام تنوع الثقافات، والتسامح، والحوار، والتعاون، في جو من الثقة والتفاهم، هو خير ضمان لتحقيق السلام والأمن الدوليين".

إعلان اليونسكو العالمي بشأن التنوع الثقافي

٢٠٠١/١١/٢

تمهيد

لعل موضوع التربية على التنوع الثقافي يشكل أحد الاهتمامات الرئيسية للمنظمات الدولية المهتمة بالتربية والثقافة والعلوم منذ نشأتها. فاليونسكو والأليكو والإيسيسكو جعلت من التربية والثقافة عنوان رسالتها وعملها الدعوي. وهذا ما حدا بالمنظمة العالمية للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) في ٢ من نوفمبر سنة ٢٠٠١ إلى تأكيد التزامها الدائم بنشر رسالة الدفاع عن أهمية التنوع الثقافي، لما يمثله من غنى ونمو بالنسبة إلى البشرية كافة، إذا حظي هذا التنوع بمناخ ملائم يتسم بروح الحوار والانفتاح، وذلك بالنظر إلى الخطورة التي تمثلها المجانسة الناتجة عن الرغبة في هيمنة ثقافة كونية واحدة، ثقافة العولمة، أو ثقافة القطب الواحد. ولا يقل عن ذلك خطورة اللجوء إلى الابتعاد عن الثقافة الكونية والانعطاف على الهوية الثقافية الذاتية.

وفي هذا السياق، وسعيًا إلى تعزيز التنوع الثقافي، فإن اليونسكو دعت منظمات الأمم المتحدة والحكومات وجمعيات المجتمع المدني المهتمة بقضايا التنمية البشرية، إلى وضع برامج وإستراتيجيات تساعد على تعزيز مفهوم الحوار بين الشعوب والحضارات والحفاظ على الثقافات المختلفة وتشجيعها باعتبارها "تراثاً إنسانياً مشتركاً" مثلها مثل التراث المعماري والتراث الفكري والتراث الفني واللغوي، وغيرها من أشكال الثقافة الحية.

* أستاذ فخري في علم النفس والتربية - المغرب.

وانسجاماً مع هذه الرسالة، فإن الإيسيسكو بدورها لم تدخر جهداً في تفعيل نداءات وبيانات قمم المؤتمرات الإسلامية التي انعقدت سواء في داكار بالسنگال (سنة ١٩٩١)، أو في إيران (طهران، ديسمبر ١٩٩٧) أو في قطر (الدوحة، سنة ٢٠٠٠)، أو في الجزائر (الجزائر في ٢٠٠٤)، والتي كانت كلها تدعو إلى احترام التنوع الثقافي وتعزيز روح الحوار بين الحضارات في ظل التسامح والتعايش والعدل والسلام المتبادل بين كل الأجناس والأعراق البشرية. ولعل الهدف الذي نتوخاه من هذه المساهمة هو تحليل طبيعة الشخصية وأبعاد نموها وتطورها في محيط اجتماعي يتسم بالتنوع الثقافي؛ للوقوف على المقومات التي تتسجها عناصر الثقافة المتنوعة في كينونة الشخصية وتنشئتها، وما إذا كان التنوع الثقافي عامل تفتح وغنى، أم عاملاً من العوامل التي تهدد كيانها وقوتها واتحاماها، وفقدانها النواة المركزية التي تنبني عليها، والتي يمكن أن تمثلها وحدة الثقافة وتجانسها.

ولتوضيح ذلك، نرى من الضروري البدء بتحليل المفاهيم المركزية في هذا الموضوع، والتي تشكل العناصر الأساسية لهذه الورقة، وهي التالية:

أولاً: مفهوم الشخصية.

ثانياً: تكوين الشخصية وأبعادها عبر سيرورة التنشئة الاجتماعية.

ثالثاً: مفهوم الثقافة والتنوع الثقافي.

رابعاً: نمو الشخصية في وسط متعدد الثقافات.

خامساً: التربية الإسلامية والتنوع الثقافي.

سادساً: التنوع الثقافي وتفاعل الحضارات.

سنحاول خلال معالجة هذه العناصر التي نتطرق إليها أن نتجنب، قدر الإمكان، العديد من النقاش المصوبغ بالذاتية في طابعها السياسي أو الإيديولوجي أو التاريخي أو القومي، والتي لا يمكن أن يفلت منها أي بحث، يتطرق إلى موضوع الثقافة، باعتبارها شيئاً يمتزج بنا ونعيش في خضمه ليس منذ الولادة فحسب، وإنما قبل ذلك، أي منذ التفكير أو عدم التفكير في الإنجاب. فالنقاش حول الثقافة لا يخلو من الارتباط باتجاهات ومواقف وأحكام من الصعب التخلص منها؛ مما يخلق في كثير من الأحيان جواً من النقاش الساخن حولها، أو حول بعض موضوعاتها.

أولاً: مفهوم الشخصية

مفهوم " الشخصية " من المفاهيم السيكلوجية الواسعة والغامضة في الوقت ذاته، فهو يدل على العديد من المعاني بحسب سياقه، وبحسب التخصص العلمي الذي يتناوله. ومن دون الدخول

في التفاصيل الكثيرة، فإنه يمكن حصر دلالاته ومعانيه في خمسة مفاهيم تغطيها الحقول الفكرية والمعرفية التالية: الفلسفة، وعلم وظائف الأعضاء، وعلم النفس - الفيزيولوجي، وعلم الاجتماع، والطب النفسي.

الشخصية في الحقل الفلسفي هي الوعي الذاتي للأنا التي لا تختلط مع بقية الموضوعات القابلة للملاحظة. والشخصية في علم وظائف الأعضاء هي عضوية الفرد عند النظر إليها من زاوية السلوك المتميز الذي يجعله يختلف عن بقية العضويات الإنسانية الأخرى. أما الشخصية من وجهة نظر علم النفس الفيزيولوجي، فهي الكائن الإنساني باعتباره كينونة من استجابات الوظائف العضوية والنفسية السريعة في لحظات زمنية، يصعب الفصل فيها بين ما هو عضوي وبين ما هو نفسي. أما علم الاجتماع فهو يقدم مفهوماً للشخصية لا يخلو من مضمون رمزي، فالشخصية هي مجمل السلوك الذي يعطي دلالة مميزة للفرد في مجتمعه، ويجعله مختلفاً عن أفراد جماعة يجسدها كل واحد منهم بطريقة فريدة ومختلفة، عن طريق مختلف أشكال الثقافة التي لا تحصى. وبالنسبة إلى الطب النفسي، فإن الشخصية تطلق على الفرد المنعزل عن مجمل الجوانب النفسية والفيزيولوجية، وينظر إليه بوصفه نظاماً من الاستجابات الساكنة التي لا تتفاعل مكوناتها فيما بينها بشكل إيجابي.

من خلال التعاريف السابقة للشخصية، يظهر الاختلاف الكبير في دلالتها بحسب الحقول والسياقات العلمية التي تقاربها. وبعيداً عن التحليل والتوسع في معاني هذه التعاريف ودلالاتها، فإننا نقف عند تعريفين أساسيين؛ الأول، هو التعريف السوسولوجي وتعريف الطب النفسي وهما من التعاريف الأشد صعوبة وتعقيداً في الفهم، والأكثر أهمية في الوقت ذاته، باعتبار الطب النفسي يعدّ الشخصية ساكنة ومحددة من الناحية الطوبولوجية، تارة لفترة زمنية، وتارة أخرى، بالنسبة إلى مدة حياة الشخص كلها، بحسب طبيعة مرضه النفسي.

إن مفهوم الشخصية كما يراه الطبيب النفسي يشمل نظام ردود الفعل الخاص بالطفل، وهو ما يزال على بعد عن الثقافة، أي ما يزال عبارة عن نزعات من ردود الفعل، كما حددتها الوراثة والمواقف التي خضع لها قبل الولادة، إلى أن تشكل النماذج الثقافية سلوكه بكيفية مستمرة. فالشخصية عبارة عن نسق من نماذج ردود الأفعال في شكلها الأولي، ونظام من النزعات المتجهة نحو النماذج التي تتخذ شكلاً بعد الولادة، أو خلال الطفولة المبكرة. ومن الصعب التكهن بما إذا كانت هذه النماذج سوف تتغير أم لا خلال حياة الفرد، كما أنه من المجازفة أن نحدد اللحظة التي تستقر فيها الشخصية.

إن تكوين الشخصية يعتمد على البناء العضوي والفيسيولوجي للفرد، غير أن هذه المكونات لا تفسر كل شيء؛ إذ إن هناك عوامل أخرى ذات طبيعة نفسية واجتماعية لها تأثير كبير بدورها منذ الطفولة؛ ومن الصعوبة بمكان القيام بتقييم دقيق لتأثير هذين العاملين اللذين يبلوران الشخصية ويكوّنانها، وكذا تحديد مكانة وقيمة كل عنصر منها، وما إذا كان التأثير الأقوى للعوامل العضوية أم للعوامل النفسية والاجتماعية. إننا لا نتوافر على أي وسيلة يمكن أن نعزل بها أحدهما عن الآخر، ومن المعقول القول بأن الناحية الجينية أقل مظهر من مظاهر الشخصية تنتج عن تفاعل طويل ودقيق بين العاملين معاً. فمن غير شك أن القامة ومظهر الجسم والعضوية بشكل عام، تؤثر على الشخصية في مجملها. ومن المناسب مع ذلك أن نلاحظ أن أهمية الجانب الجسمي في الشخصية قد يكون مضاعفاً، فقد ترتبط بالجوانب العضوية نزعات أو سمات نفسية؛ كما ترتبط بها بشكل شعوري أو لا شعوري العلاقات التي يكونها الفرد مع غيره؛ مما يجعلها تنتمي إلى المجال الاجتماعي. وقد قام العديد من علماء النفس بتحليل العلاقة ما بين نوعية جسم وعضوية الأشخاص وبين نوعية سلوكهم وتصرفاتهم المرتبطة بالطابع النفسي والاجتماعي، كما فعل "كريتشمر" Kretschmer على سبيل المثال، أو ألفريد أدلر Alfred Adler بخصوص الشعور بالنقص الذي يشعر به الشخص القصير القامة وكيف يغذي لديه هذا الشعور قوى لا تتوقف عن الاتجاه نحو التغلب على هذا الشعور، باللجوء إلى تنمية ملكات أخرى تعويضية لديه، مثل ملكة الذكاء؛ مما يجعله قادراً على تحقيق إشباع آخر للذات غير الشعور بالنقص الجسماني الذي ينتابه.

إن أكثر الفرضيات انتشاراً حول تركيبية الشخصية وتكوينها عبر عملية التنشئة الاجتماعية هي تلك التي نجدها لدى مدرسة التحليل النفسي وخاصة لدى مؤسسها "سيجموند فرويد" (S. Freud)، فحسب فرويد، تتكون الشخصية من ثلاث مناطق: الهو والأنا والأنا الأعلى: فمنطقة الهو تحتوي على الإرث الأولي الذي نزود به، وهو عبارة عن الدوافع والرغبات، في حين نجد أن الأنا ينمو انطلاقاً منه بانبثاق الشعور والوعي التدريجي بالواقع لدى الطفل، وينشأ الجزء الأخير وهو الأنا الأعلى من خلال مختلف القوى والضغوط الاجتماعية التي تجسدها العناصر الثقافية في كل مجتمع، والتي تمنع الفرد من الإشباع المباشر لرغبات الهو. ويتحدد تفاعل هذه المناطق أو قوى الشخصية من خلال العلاقات الأسرية التي ينبغي للفرد أن يتكيف معها منذ سنواته المبكرة، وهذا ما يعطي نماذج متنوعة من الشخصيات، بحسب نوعية هذه العلاقات وطبيعتها. لم يشغل التحليل النفسي نفسه بتقديم أنماط الشخصية الناتجة عن أشكال التنشئة والتفاعل

الاجتماعي بين الفرد في طفولته وبين تركيبة شخصيته. فقد اكتفى بتقديم فروض خاصة مبنية على الملاحظات الإكلينيكية لشخصية المرضى؛ حيث قام فرويد بتقديم العديد من العناصر المهمة التي تشكل آليات أساسية للشخصية. فمن غير المعقول ألا تؤدي عاطفة الأمومة المفرطة أو الغيرة الشديدة نحو الأخ الأكبر إلى علامات خاصة مميزة لشخصية فرد ما طيلة حياته.

إن أوضح مثال على تأثير العوامل الثقافية على شخصية الفرد، تلك العوامل التي تحدث عنها كارل يونج Jung. فهو الذي أقام تعارضاً بين نمطين من الشخصية: الأولى وهي الشخصية المنطوية (introverti)، والثانية، هي الشخصية المنفتحة (extroverti)، فنمط الشخصية الأولى، وهي الشخصية المنطوية، هو الانقطاع عن الواقع. وتأكيد نفسها وقيمها في عالمها الداخلي. أما الشخصية المنفتحة، فهي تلك التي تقيس تجربتها بمقدار انفتاحها المباشر على الغير. كما قام "يونج" بتقسيم الشخصية من حيث وظيفتها إلى أربعة أنواع: الشخصية العقلية، والشخصية العاطفية، والشخصية الحسية، والشخصية الحسية. النمطان الأولان نمطان "عقلانيان" أو تنظيميان، والآخران غير "تنظيميين".

إن هذه التصنيفات المختلفة للشخصية ينبغي تحليلها بالقدر الكافي؛ لكي نستخلص منها العوامل المختلفة التي تقود إلى نسج منوال معين من الشخصية يتميز بهذا السلوك أو ذاك، الذي يجعلها تقترب أو تبتعد عن غيرها في المجتمع. فإما شخصية متفاعلة ومستقبلة للآخر وقابلة للتغيير، وإما شخصية قابعة في جرحها لا تغادره، ومواقف العداء والكره تطبع نظرتها إلى كل ما هو مختلف عنها ومنفصل؛ وبالتالي يصعب عليها التواصل مع الآخرين وقبولهم والتحاور معهم.

"إن الحاجة إلى التوقع في الذات والتمركز حولها والنزوع إلى اعتبار الآخرين مصدراً للشهر كل ذلك يدفع المرء إلى الكذب على نفسه، دون اكتشاف خلفية هذا الكذب، باعتباره هو المسئول عنها. وهذا الكذب على الذات الذي يتجلى في أحكام مسبقة وتنميطات جاهزة عن الآخرين، تتحول إلى حقائق شبه مطلقة يشيدها الفكر ويسجن نفسه داخلها بشكل يجعلها تستلبه. غير أن العالم الذي نعيش فيه ليس عالم أفكار أو أشياء بل هو عالم بشر وأناس يتقاسمون الوعي بوجودهم ووجود الآخرين، بحيث يصبح الوجود على حد تعبير "إدموند هوسرل" وجوداً متبادلاً بين الواحد والآخر"، أي وجوداً مدركاً على نحو بين - ذاتي Intersubjectivité.

هذا وإن احترام الآخرين وتقديرهم يمران عبر تقدير الذات وكذا عبر فهم الآخرين، بيد أن تكوين صورة إيجابية عن الذات والانفتاح على الآخرين يقتضيان العمل على تنمية سلوكيات

التعاون والتضامن. ولعل أولى الثمرات التي يمكننا أن نجنيها من استلها منا لهذه المواقف، درس أساسي مفاده أن الفرد لا يمكنه أن يفكر في تجربته أو يتحكم في مصيره كفرد إلا بالتموضع في سياقه المجتمعي والتاريخي والإنساني؛ وبالتالي لا يمكنه التعبير عما يرجوه من الحياة إلا إذا وضع في اعتباره رجاء الآخرين وآمالهم، أي أولئك الآخرين الذين يشبهونه في وضعه.

ثانياً: تكوين الشخصية وأبعادها عبر سيرورة التنشئة الاجتماعية الثقافية

يعتبر دور الثقافة جد أساسي في تنمية الشخصية، إذ يرى " وول سوينك" Wole Soyink الحائز جائزة نوبل للسلام أن الثقافة تُعدّ المنبع الأول للمعرفة، وأن فهم الطبيعة يبدأ انطلاقاً من التواصل مع الثقافة المحلية التي ينشأ عليها الفرد. وللمحيط الأسري خلال تنشئة الطفل دور كبير في إكسابه صورة أو مفهوماً معيناً عن ذاته، هذا المفهوم أو الصورة (Conception de soi) التي تشكل النواة المركزية في بنية (Structuré) شخصيته وهويته الذاتية. وتظهر هذه الهوية في مستويات متعددة، منها إدراك الفرد لذاته، هذا المستوى الذي يشكل مفهوم الفرد عنها، ثم عاطفة الذات، التي تعتبر بعداً وجدانياً في هذا المفهوم أو الصورة. وتحيل هوية الذات إلى الوظائف الفعالة للذهن، كما تحيل إلى تكيف الفرد مع الواقع.

إذا كانت الهوية سيرورة ذهنية ووجدانية يتصور الفرد بواسطتها ويدرك، فهي كذلك بنية نفسية تنتج عن هذه السيرورة. إن هذه البنية الداخلية لا تساعد الفرد على ضبط شخصيته وتحديدها بواسطتها فحسب، وإنما تعمل كذلك على ضبط العالم الذي يحيط به.

ومن هنا يتضح، أن النواة المركزية للشخصية، تكتسب عبر عملية التربية التي هي سيرورة ثقافية في الأساس. لذلك، فإن مختلف أبعاد الشخصية تستمد من الأسرة بدءاً من الهوية الجينية (ابن أو بنت هذا الأب وهذه الأم)، كما تستمد الهوية الاجتماعية (اسم أسرته ومكان سكناه، والمسئول الشرعي عنه، ومواطنته)، و من الأسرة كذلك يستمد هويته الثقافية والأخلاقية، أدواته في ذلك اللغة الأم، وما ينشأ عليه من أوامر ونواهٍ يعود عليها الأبناء والأجداد، وما ينقلانه إليه من قيم وأنماط ثقافية مميزة، تجعله مختلفاً عن أقرانه في الفصل الدراسي، مع ما يرافق ذلك من تحليل لأسبابه منذ سنوات حياته المبكرة، الشيء الذي يتيح له القول بنوع من التمييز والاختلاف: "نقوم في بيتنا بكذا أو نظن كذا أو نعتقد كذا، إلخ"؛ وهذا كذلك مما يجعل الطفل لا يتشكل بثقافة وسائل الإعلام فحسب.

علينا الآن أن نحلل ونقارن بين أنماط الشخصية الفردية عن قرب. هناك علاقة جوهرية

بين الثقافة وبين الشخصية. فمن جهة لا يمكننا أن نشك في أن مختلف أنواع الشخصية تؤثر على سلوك أصحابها مثلما تؤثر بشكل عميق على تفكير وعمل المجتمع، وأن أشكال السلوك الاجتماعي، حتى ولو تكيف الفرد خلالها، تفضل الاستقرار على بعض أنماط السلوك الاجتماعي لنوع معين من الشخصية.

ما فتى الوعي خلال هذه الأيام يتقوى بأهمية دراسة الشخصية وتكوينها في ثقافة معينة؛ حيث يسود الاعتقاد بأنها هي التي تكونها.

إن تأثير التنشئة الاجتماعية عبر مختلف مؤسساتها أو وكالاتها على نوعية الشخصية ينبغي أن يقودنا في النهاية إلى إبراز السمات السيكولوجية للثقافة؛ قصد التعرف على العلاقة القائمة ما بين نوع التربية وتكوين أنماط معينة من الشخصية. وفي هذا السياق فإنه إذا نظرنا إلى بنيات الشخصية حسب التحليل النفسي نجد أن الأنا الذي يمثل الشعور والوعي والذي يتكون لدى الطفل خلال تنشئته يستمد مبادئ سلوكه من بنية الأنا الأعلى للشخصية التي تتكون من خلال امتصاصه واستدخاله للمعايير والمبادئ الخلقية والاتجاهات والقيم التي ينشأ عليها. ومعنى ذلك أن الطفل الذي ينشأ في بيئة متعددة الثقافات يكون لدى شخصيته حظ أوفر للنمو الذهني والفتح العقلي والمعرفي، وما يقابله من بنيات ذهنية متعددة وغنية، بأشكال الرؤى والصور والتمثيلات التي تنقل إليه عبر لغة الثقافات المتعددة والمتنوعة التي يحثك بها في محيطه. ولعل أفضل مثال يمكن أن نسوقه هنا عن نموذج الشخصية التي احتكت بثقافات متعددة، المفكرون والكتاب والأدباء المغاربة الذين أتاحت لهم الفرصة للاحتكاك بثقافات متنوعة، ثقافات مشرقية وغربية، فضلا عن ثقافتهم الأصلية؛ مما أكسبهم تجربة وغنى كبيرين، عبروا عنهما في كتاباتهم وإبداعاتهم وإنتاجاتهم الثقافية المختلفة، فضلاً عما يتمتعون به من رحابة صدر وانفتاح على الآخرين واعتبار التنوع والاختلاف أمراً طبيعياً في الكون وفي ثقافات الشعوب (عبد الله العروبي - محمد عابد الجابري - عبد الكريم غلاب - محمد بريدة، إلخ).

ولعل الطفل المغربي كسائر أطفال المجتمعات العربية والإسلامية يسبح منذ ولادته في وسط ثقافي متعدد ومتنوع؛ منه ما يشكل ثقافة قاعدية ترتبط بموطن نشأته في ماضيه التاريخي، ومنه ما يشكل ثقافة وافدة عليه بفعل التثاقف، ينطبق ذلك على ماضي مجتمعه أو حاضره التاريخي. وإذا كانت الثقافة تتكون من عدة عناصر ومعطيات اجتماعية، فإن اللغة أوضح هذه العناصر والمقومات ولا بأس أن نوضح تأثيرها على الأبعاد الفكرية والمعرفية للشخصية.

إذ يرى العديد من علماء النفس، ومن بينهم جان بياجيه (Jean Piaget) أن اللغة وثيقة

الصلة بالفكر، فاللغة ليست تعبيراً لاحقاً للفكر ورداء له، وإنما هي جسمه وكيانه، فالعاطل عن الفكر عاطل عن اللغة، إذ الفكر يتكون في نظر هؤلاء السيكولوجيين من الكلمات والتعبير اللغوي. ولقد كان "واطسون" Watson رائد علم النفس السلوكي، يرى أن التفكير ليس سوى كلامٍ ولغة صامتة. كما يرى كارل ماركس (K. Marx) أن "اللغة حصن للتفكير". فاللغة والفكر يدخلان إذن في علاقة جدلية، فإذا ضعف أحدهما انعكس على الآخر. وتبعاً لذلك فإن اللغة ليست أداة تفاهم وتواصل ثقافي فحسب، وإنما هي أيضاً أداة تفكير وتأمل، فالإنسان يفكر ليتكلم؛ لذا عليه أن يستوعب رموز اللغة ودلالاتها الخاصة حتى يستطيع الاستجابة لكل الظواهر الاجتماعية والطبيعية التي تحيط به. ومن ثمة، فإن اللغة ذات وظيفة مزدوجة في نظر بول ريكور (Paul Ricoeur)، فبواسطتها يفهم الإنسان ذاته وعالمه. إننا نستعمل اللغة في مناسبات وسياقات يومية عديدة، بحيث لا يمكننا الاستغناء عنها سواء في التعبير عن آرائنا ومشاعرنا ومناجاة أنفسنا، أو في وصف الأشياء والأحداث المحيطة بنا أو في التواصل مع الآخرين، أو خلال القراءة والكتابة. إن الكائن البشري على حد تعبير الفيلسوف الوجودي مارتن هيدجر (Martin Heidegger) يتكلم، فهو يتكلم في حالة اليقظة وفي الحلم. إذن نحن نتكلم باستمرار حتى عندما لا نتفوه بأي كلام، وحين نكون منصرفين إلى الاستماع أو القراءة. وإلى مثل هذا الرأي الذي يربط اللغة بالفكر تذهب أيضاً جوليا كريستيفا (Julia Kristeva) التي تقول بوحدة اللغة والفكر "فاللغة سلسلة من الأصوات المتمفصلة، ولكنها أيضاً سلسلة من الدلائل المكتوبة أو نظام حركات. وهذه الصفة المادية للغة، المنطوقة والمكتوبة أو الحركية تنتج ما نسميه فكراً، وتعبر عنه في أن واحد. بمعنى أن اللغة تمثل حقيقة الفكر وتحققه، بل إنها الشكل الوحيد لوجوده... وعلاوة على أن الخطاب الصامت يستعير هو أيضاً، في متاهته، شبكة اللغة، ولا يستطيع الاستغناء عنها، فإنه يبدو اليوم أنه من المستحيل إثبات وجود فكر خارج اللغة ما دما في المجال المادي".

يترتب عما سبق، ارتباط كل لغة معينة بالبنيات الذهنية لمستعملها؛ لأنها تستدعي لديه تصورات وتمثلات متميزة في هذه اللغة، وبقدر استيعاب الشخص لعدة لغات واستخدامها، بقدر ما تتعدد صورته وتمثلاته الفكرية؛ مما يعطي لتفكيره عمقاً وبعداً أوسع؛ لأنه يغني ثقافته القاعدية أو الأساسية بثقافات أخرى عديدة ومتنوعة. لذلك كانت الشخصية التي تتقن عدة لغات وتحثك بعدة ثقافات شخصية تتسم بالغنى والنمو والتفتح، كما بينا ذلك سابقاً.

هذا وقد يكون للتنوع الثقافي في بعض الحالات تأثير في خلخلة ثقافة الشخصية القاعدية للشخص وضرب أسسها المركزية، ومن ثمة فقدانه للثقة في قوتها وصمودها للأعاصير الثقافية

الأخرى؛ بيد أن ذلك يصيب ثقافة الشخص التي تفتقد روابطها الأساسية المركزية، وهو أمر لا يمكن أن ينطبق، في نظرنا، على ثقافة الفرد في المجتمع المغربي، على الرغم من تعدد استعماله عدة لغات؛ وذلك لعدة اعتبارات. منها أن الطفل في الوسط المغربي بحكم الموقع الجغرافي لوطنه، وبحكم ماضيه التاريخي، يعتبر المغرب قطراً منفتحاً منذ الماضي العريق على العديد من الثقافات والحضارات الإنسانية (الثقافة الرومانية، الثقافة الإسبانية، الثقافة البرتغالية، الثقافة الفرنسية، الثقافة العربية الإسلامية، إلخ).

إن هذا التنوع الثقافي أكسب الشخص المغربي منذ الماضي العريق ذهنية خاصة منفتحة على الآخر ومستقبلة له، وخير مثال على ذلك، ما يستقبلك به أي شخص في البوادي والحواسر المغربية، وكرمه ومساعدته للشخص كلما شعر بأنه أجنبي عن بلده.

إن التنوع الثقافي الذي يسبح فيه الطفل المغربي منذ سن مبكرة تجعل مختلف الثقافات التي يحتك بها تحقق لشخصيته نوعاً من الامتلاء والتشبع الثقافي، وهي ثقافات لا تهدد ثقافته القاعدية التي نشأ عليها، وهي الثقافة العربية والإسلامية التي تدعوه باستمرار إلى الانفتاح على كل الثقافات والحضارات الإنسانية: "اطلبوا العلم ولو في الصين"، والتي يمكن أن تفهم بمعنيين: الأول اطلب العلم في أي منطقة من العالم ولو كانت بعيدة. والمعنى الثاني، اطلب العلم أي الثقافة حتى من الشعوب المختلفة عن الشعوب الإسلامية. "وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا.."، إلخ، وإلى ذلك أيضاً يذهب المفكرون والفلاسفة الإسلاميون، فابن رشد يدعو إلى التماس الحق والحقيقة من أي شخص مهما كانت ملته أو دينه؛ لأن الحقيقة واحدة ولا دين ولا وطن لها.

كما أن اللغات والثقافات المتنوعة في المجتمع المغربي (الأمازيغية - الحسانية - العربية، إلخ) التي نجدها في مختلف المناطق الجغرافية، شمالاً وجنوباً، شرقاً وغرباً، لا تشكل نشازاً قد يعوق وحدة الرؤية السديدة للفرد ولا يهدد نواة شخصيته المركزية، مادامت كل تلك الثقافات تنصهر في ثقافة قاعدية واحدة تجمعها هي الثقافة العربية الإسلامية التي تنسجها وحدة اللغة والعقيدة والماضي التاريخي المشترك.

ومن هنا يمكن القول، بأن التنوع الثقافي في المجتمع المغربي عامل من عوامل غنى الشخصية ونمو لأبعادها الفكرية والمعرفية؛ لكون الشخص يتواجد منذ نشأته في وعاء ثقافي متعدد الألوان والأطياف؛ مما يغني شخصيته غنى اللوحة المزركشة بعدة ألوان.

إن الرصيد اللغوي المتعدد والمتنوع إذا اكتسبه الطفل خلال تنشئته على أسس وقواعد سليمة يساعده على التفتح الذهني ليس على إدراك ذاته وبيئته القريبة فحسب، وإنما يساعده

كذلك على فهم ووعي القضايا الفكرية والعلمية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية العالمية في محيطه، رافده في ذلك مختلف الوسائل التكنولوجية التي أصبح يتعامل معها في الوسط الأسري والمدرسي، تزوده بمعلومات ومعارف تثري مرجعياته الثقافية، وتغني مكتسباته المدرسية. وإن من شأن انفتاح الطفل على الثقافات الأخرى، أن يدمج في ثقافته قيماً أخرى جديدة أنتجتها التغيرات العالمية في العصر الجديد، عصر العولمة الذي أفرز قيم التربية على المواطنة العالمية، بعد أن أصبح العالم أشبه "بقرية كبيرة"، فتقلص الزمان والمكان واخترقت الحدود؛ بسبب طفرة المعلومات، ووسائل الاتصال التي عرفت تطوراً مذهلاً في عالم اليوم. إن دور التربية يقوم على تعزيز ودعم القيم الجديدة، التي ينبغي ألا ننظر إليها باعتبارها قيماً يمكن أن تجهز على أنساقنا القيمية وتحطم كياننا الوطني وتهدد هويتنا، وإنما النظر إليها باعتبارها قيماً جديدة تدعو إلى استتباب السلام العالمي، المبني على قيم العدل والإنصاف، وهي بدون شك ما تدعو إليه ثقافتنا وأصالتنا العربية والإسلامية على الدوام.

ثالثاً: مفهوم الثقافة والتنوع الثقافي

نتقل إلى المفهوم المركزي الثاني في هذه الورقة وهو مفهوم الثقافة.

إن مختلف المعاجم اللغوية حبلت بمختلف الدلالات والمعاني لمفهوم كلمة "ثقافة"، وذلك بحسب السياق العلمي والفكري الذي تستخدم فيه. ولا يسمح الظرف هنا بالدخول في متاهات هذه المعاني والدلالات التي قد تقودنا إلى تفاصيل البحث في تاريخ هذا المفهوم وتطوره، بقدر ما نسعى هنا إلى اختيار المعنى المرتبط بالتربية والتنشئة الاجتماعية الذي يهمنا هنا، مادامت الشخصية الإنسانية تسبح في الوعاء الثقافي بدءاً من تكوينها ونشأتها ليستغرق ذلك طيلة حياتها، أو كما يقول علماء الاجتماع فإن الكائن الإنساني ما إن يُلقى به الرحم البيولوجي حتى يتلقفه الرحم الاجتماعي بأريجه الثقافي الشديد التنوع، فالثقافة بمعناها العام نخضع جميعاً لتأثيرها، مثلما نساهم في إنتاجها ونشرها سواء كان ذلك بكيفية شعورية أو لا شعورية. على أنه من اللازم التمييز على الأقل بين معنيين لكلمة ثقافة؛ المعنى العام والمعنى الخاص.

أ. المعنى الخاص للثقافة وهو المعنى الفكري:

ويقصد بهذا المعنى اكتساب المعارف المختلفة التي تساعد الإنسان على تنمية ملكات الحكم والحس النقدي والذوق الفني، إلخ. وهذا ما يطلق عليه الثقافة المكتسبة من التربية والتعليم المدرسي. وقد تظل هذه المعارف والمكتسبات لدى الشخص عامة دون التخصص في أحدها. أما

إذا عمد إلى التعمق في أحد مجالاتها أو فروعها، فإنه يصبح مختصاً في الأدب أو الفلسفة أو في فن من الفنون العديدة.

إن الثقافة بهذا المعنى إذن تطلق على العملية التي تعمل على ترقية الإنسان وتهذيبه في مختلف جوانب شخصيته الروحية والفكرية، "فالتثقيف هو العمل الذي يبذل الإنسان لغاية تطوير ذاته في فعل خلاق يتضمن الاقتدار على تخطي حتميات الطبيعة من خلال تمثل أفضل الأفكار التي عرفها العالم وتطوير الخصائص الإنسانية المميزة".

ب. المعنى العام للثقافة وهو المعنى الاجتماعي والأنثروبولوجي:

إن المعنى الاجتماعي للثقافة هو معنى عام وواسع وهو غير منفصل في العديد من الأحيان عن مفهوم الحضارة، إن لم يكن مرادفاً لها، وهو مفهوم انتشر منذ القرن التاسع عشر؛ حيث انتشرت الأبحاث الأنثروبولوجية التي تمت على مختلف حياة الشعوب "البدائية"، ويقصد بالثقافة في هذا المعنى: "المجموع المركب الذي يتضمن المعارف والمعتقدات والفن والحق والأخلاق والأعراف وكل الاستعدادات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضواً في المجتمع".

إذا كان المفهوم الأول للثقافة يعتبرها وسيلة من وسائل ارتقاء الإنسان وتقدمه، ويربطها باللغة وبالمؤسسات الاجتماعية كالأسرة والمدرسة على سبيل المثال، فإن التعريف الثاني يجعلها مرتبطة بأسلوب حياة المجتمع في وقائع حياته اليومية؛ الثقافية والدينية والسياسية والاقتصادية، إلخ. وفي هذا التعريف نجد زوال التمييز التقليدي بين الثقافة والحضارة، على اعتبار أن الحضارة مرتبطة بالجانب العقلاني الملازم للتقدم التقني والإنتاجي، في حين أن الثقافة مرتبطة بالجانب الفكري والروحي.

إن الثقافة بهذا المعنى الأخير عامة بالنسبة إلى كل المجتمعات البشرية مهما كانت درجة تطورها وتقدمها الفكري والعلمي؛ لأن معناها وثيق الصلة بالكيفية التي يعيش بها أي مجتمع من المجتمعات، فهي بمعنى آخر حالة انتقال الإنسان من طابعه البيولوجي إلى طابعه الإنساني والاجتماعي. وبذلك يمكن الحديث عن ثقافات مختلفة لدى مختلف الشعوب، بحسب طبيعة حياتها وأنماط عيشها، كما يمكن الحديث عن تنوع ثقافي داخل المجتمع الواحد؛ بحكم اتساع الرقعة الجغرافية التي يعيش فيها، وتنوع تضاريسها التي تخلق أنماطاً من الحياة والعيش. فالثقافة إذن "هي مجمل ما يقدمه المجتمع لأبنائه من عادات وقيم وأساليب سلوك وتوجهات وعلاقات وأدوار وتقنيات كي يتعلموها ويتكيفوا معها، فهي نمط معيشة للجماعة لا أكثر ولا أقل.

تقوم الثقافة بقولبة المنتمين إليها من خلال اكتسابهم أساليب متشابهة من التفكير والسلوك

والتفاعل، واشتراكهم في مظاهرها الموضوعية والرمزية في آن واحد. ومن هنا يسود الانسجام والتواصل بين الأفراد والشعوب التي تنشأ وتعيش في ثقافة أو ثقافات متجانسة، كما هو الحال مثلاً بالنسبة إلى العالم الإسلامي، الذي تتشابه عاداته وتقاليده وسلوكه، ومبادئه وقيمه، بسبب وحدة العقيدة التي توجه رؤاهم وتصرفاتهم بالنسبة لحياة الدنيا والآخرة؛ هذه الرؤية والعقيدة هما اللتان توجهان عملية التنشئة للطفل في الثقافة الإسلامية. ومن هنا ندرك العلاقة العضوية الوثيقة والحميمة بين التربية والثقافة؛ وذلك، مهما كان المعنى الذي نعطيه للتربية، سواء كان معنى عاماً يجعل منها عملية تكوين وتنشئة اجتماعية للفرد، أو كانت بالمعنى الخاص الذي يعتبرها عملية تنصب على متعلم يقوم معلم بتعليمه؛ مما يقتضي بالضرورة التواصل معه ونقل مكتسبات معرفية وسلوكية معينة إليه: مكتسبات قد تكون على هيئة معارف، كفايات، مهارات، اعتقادات، عادات، قيم، إلخ، وهي كلها ما يطلق عليه بالضبط المضمون التربوي والتعليمي.

ومن غير شك، أن إحدى المهام الأساسية للتربية ولكل أدوات ووسائل التنشئة الاجتماعية التي تبني عقول الناشئة وتشكل شخصيتهم وتوجه سلوكهم، هي العمل على تامين التنوع الثقافي لديهم وتنمية رؤى تجعل من التنوع الثقافي أداة غنى ونمو وتفتح على آفاق واسعة، والعمل على إدماجهم في عالم أكثر اتساعاً في أبعاده التاريخية والاجتماعية واللغوية والفكرية والفنية، إلخ.

رابعاً: ضرورة التكامل ما بين وسائط التربية للسعي نحو التربية على التنوع الثقافي

ينبغي التعاون والتكامل بين وسائط التربية؛ من أجل الحياة في التنوع الثقافي، فلا يكفي أن نهتم بتنشئة الطفل على التنوع الثقافي في المدرسة أو الأسرة ونهمل دور ومساهمة بقية الوسائط الأخرى، وإنما لا بد من تشجيع وتعزيز كل الوسائل المتدخلة في ثقافة الطفل، تنشئة وتكويناً؛ مما يؤدي إلى التطوير المتكافئ لمختلف جوانب هذه المؤسسات التربوية.

إن البنیان الكلي يتأثر بدون شك بالخلل والقصور الذي يقع في أحد الجوانب، إذ كثيراً ما يتسرب الخلل إلى هذا البنیان الكلي من هذا النقص أو الضعف الذي يضر بوحده وشموليته؛ مما قد يفقد الجوانب الأخرى الفاعلة ضياعها وفقدان دورها وتماسكها، خاصة في عصر تعددت وسائطه الثقافية، فضلاً عن احتياج الشعوب إلى الانفتاح على بعضها.

خامساً: التربية الإسلامية والتنوع الثقافي والحضاري

إذا كان التنوع الثقافي وتعدده قد يشكلان في نظر البعض عاملين يهددان بنية الشخصية

في وحدتها والتحامها، فإن التنوع الثقافي الذي ينشأ عليه الطفل المغربي يشكل عامل غنى ونمو لشخصيته، في أبعادها ومكوناتها المختلفة، وذلك بالنظر إلى التنشئة الروحية التي يشب عليها في محيطه التربوي، وما يزرع به من قيم تدعوه إلى قبول التنوع والاختلاف واعتباره شريعة الحياة وضرورتها: "وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ".

"وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ".

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ..."

إن القرآن الكريم يخاطب البشر كافة؛ باعتبارها كائنات استخلفها الله على الأرض. وبذلك فهو يدعو إلى أخلاق إنسانية كونية ومواطنة عالمية، ويجعل الحوار والنقاش قاعدة المعاملة المرغوبة: "وجادلهم بالتي هي أحسن".

تتميز طبيعة النسق الثقافي للفكر الإسلامي، بأنها تتسم بالمرونة؛ مما يتيح له الاستجابة لمتطلبات الحاضر والمستقبل؛ فهو يتضمن نوعاً من الثنائية، تتجسد من جهة في ثقافة التراث الإسلامي الذي جاء به الإسلام، ومن جهة ثانية، الإرث الفكري والثقافي الشعبي الذي كان سائداً لدى الشعوب قبل مجيء الإسلام ودخولها إليه. كما أنه يمكن فهم هذه الثنائية بالنظر إلى ثقافة الفكر الإسلامي المنفتح من جهة، وثقافة العصر التي جاءت تنادي بالعديد من القيم التي سبق إليها الإسلام، من مثل قيم الأمانة والشورى والكرامة، إلخ؛ مما يجعل الثقافة الإسلامية ثقافة اندماجية في طبيعتها.

إن الحضارة الإسلامية عرفت العديد من المبادئ التي تحاول الحدثة اليوم أن تركزها، مثل المساواة في الحقوق المدنية: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؛ والتكافل، وحب العلم والعلماء، والإصلاح، والتوجيه في عصر الدولة الأموية. كما سادت فيها روح العلم والعقلانية خلال الدولة العباسية وفي بلاد الأندلس. فهناك العديد من القواسم المشتركة بين الثقافة الغربية المعاصرة وبين الثقافة العربية الإسلامية؛ مما ساعد على التفاعل بينها وخلق فرص الشراكة والتطور والتجديد.

وبهذا يمكن اعتبار الثقافة الإسلامية ثقافة تقدم، وثقافة علم وعمل، تحترم الثقافات والحضارات السابقة عليها. كما تحترم الحضارات المعاصرة التي تتعايش معها، مهما كانت

لغتها وديانتها، فالإسلام منذ وجد وهو يدعو إلى الحوار والجدال بالتي هي أحسن؛ فهو دين التسامح وشرعية الحق في الاختلاف ونبذ العنف.

إن الفكر السوي والمنفتح ليس فكراً يتحاور مع الذات في شبه انغلاق، وإنما هو فكر في حوار ووجود مع الآخر. إن إنجاز الذات وتكوينها على أسس متينة لا يتمان بمعزل عن الآخر، فالآخر هو الذي يعكس صورتى الذاتية، وهو الذي يعطي لذاتي دلالتها ومعناها الوجودي. إن صنع هويتي واكتشافها يحتاجان إلى التفاعل وإلى التفاوض وإلى تدبير الخلافات بواسطة الحوار، فالهوية كينونة داخلية وخارجية معاً .

إن كل ثقافة وطنية لا يمكنها البقاء حية ما لم تتكيف في الزمن مع حقيقة التغيير، ومع وقائع الحياة الداخلية، ووقائع الحياة الخارجية المتجددة، الشيء الذي يحتم على كل ثقافة ترغب في الاحتفاظ بحيويتها وبقائها، الانفتاح على غيرها من الثقافات.

سادساً: التنوع الثقافي وتفاعل الحضارات

أثارت العولمة وتثير العديد من التساؤلات لدى المهتمين بالعلوم الإنسانية، فالإشكالات التي تطرحها لا تتعلق بالمجال الاقتصادي المرتبط بالإنتاج والتسويق والاستهلاك فحسب، وإنما تجاوزت ذلك إلى التساؤل عن النسق الأخلاقي والقيمي للإنسان، في ظل انفتاح الهويات الثقافية الوطنية على مصراعيها نحو هويات أخرى كونية، وما إذا كان هذا الانفتاح سيقود إلى ضعف وتلاشي واندثار بعضها وبقاء أخرى مهيمنة، مع ما يصاحب ذلك من انكسار نفسي؛ بسبب فقدان الهوية الذي يعتبر أحد المقومات الأساسية لكل كيان ووجود إنساني. كما طرحت التساؤلات فيما إذا كان هذا الانفتاح الثقافي الكوني على بعضه بعضاً سيقود إلى الحوار الثقافي الذي يؤدي إلى صهر ثقافة وقيم جديدة، عن طريق مساهمة مختلف الثقافات في بناء ثقافة عالمية جديدة مشتركة.

والواقع أن المتأمل اليوم في حياة الإنسان على هذا الكوكب، يجعله يدرك أن التقدم العلمي والتطور الحضاري ما فتئنا يجعلاننا نقتنع يوماً بعد يوم بوحدة المصير الإنساني على الأرض، والحكم على الجميع مهما كان نوع ثقافته بالتعاون والتعايش والتأخي والتعاقد، بفعل قصر المسافات بين الشعوب والقارات أو كما عبر عن ذلك علماء الاجتماع بتحول الكون إلى قرية صغيرة، أو كبر الإنسان بفضل العلم الذي جعل الإنسان قادراً على التنقل السريع من أقصى الأرض إلى أقصاها في وقت جد وجيز، فأصبحت الأرض أشبه ما تكون بقرارة واحدة،

إلى درجة تجعل الإنسان عندما يبتعد عنها ويتوغل في أعالي الفضاء، يشير بإصبعه وهو ملتفت نحو كوكب الأرض، قائلاً: "هناك موطن الإنسان"، ولا يقول: هناك بلد أو ثقافة هذا الشعب أو ذلك.

إن هذا الأمر هو ما يدعو اليوم أكثر من أي وقت مضى إلى ضرورة تعزيز ثقافة الحوار بين الشعوب نحو تحقيق الأهداف الإنسانية " فلا يمكن تصور أي تعاون بناء أو أي حوار حقيقي بين الحضارات والثقافات في عالم يتغير باستمرار دون الإقرار بمبدأ التنوع الثقافي".

ومن ثمة، فإنه يغدو من الضروري تنشئة أبنائنا على الحوار واحترام التنوع الثقافي واعتباره سبيلاً للتعايش بين البشر؛ لتأسيس مستقبل مشترك يتيح للجميع العيش في اطمئنان. إن القيم التي ينبغي على التربية اليوم العمل على ترسيخها لدى النشء هي تلك القيم الإنسانية النبيلة التي تشكل المرتكزات الأساسية في الحضارات الإنسانية الكبرى، مثل الإخاء والعدل والمساواة والتسامح وقبول الآخر، وهي مبادئ كونية عامة ومشاركة، ينبغي توطين النفوس عليها لتغدو سلوكاً شائعاً بينهم؛ وتصبح بالتالي قناة دائمة لديهم تساعد على بناء حياة مشتركة تقوم على الفهم والحوار المتبادل بين الثقافات، دون أن تعلق أي واحدة على الأخرى، أو تهيمن عليها. ولعل الوسيلة المساعدة على تحقيق ذلك هي ترسيخ الوعي لدى الجميع بأهمية ذلك وإيجابيته، ومن ثمة وضع مبادئ وقوانين دولية تغدو قاعدة للسياسة الدولية لضمان العيش الكريم للجميع، ونبذ العنف والصراع الذي يستنزف طاقة الإنسان وجهده ويعوق تفرغه للعمل والإنتاج البناء الذي يحقق النمو والتطور للإنسانية جمعاء.

ومعنى ذلك، أنه ينبغي إضفاء طابع أخلاق وقيم إنسان القرن الحادي والعشرين على القيم التي يسعى النظام التربوي في كليته وشموله إلى ترسيخها لدى الأطفال؛ قيم وأخلاق تتسم بطابع الشمولية الكونية على الرغم من تعدد الثقافات والمعتقدات؛ من أجل ترسيخ ثقافة السلام والتسامح والتعايش بين سكان المعمورة. إنها ثقافة قيم جديدة ينبغي في نظر "إدغار موران" Morin. E أن يحدها أمل ترسيخ في وعي كل شخص؛ الوحدة في إطار التعددية، بكل أشكالها الثقافية والدينية والجمالية، إلخ. غير أن هذا لا يعني أبداً ذوبان الثقافة الأصلية أو الثقافة الوطنية، بقدر ما يقصد به تعزيزها، وتعميمها والمشاركة في إنتاجها واستهلاكها حتى تشكل قوة وغنى، يؤكدان مكانة وقيمة حضارة أصحابها.

وفي هذا السياق، نذكر أن مهاتما غاندي كان يردد: "ألمي أن تهب جميع الثقافات بمحاذاة منزلي وبأكبر قدر ممكن، لكنني أرفض أن تسلخني أي منها عن جذوري".

المراجع

١. د. أحمد أوزي، اللغة الأم والتربية على قيم المواطنة، ندوة الطفل بين اللغة الأم والتواصل مع العصر (٢١ - ٢٣ من فبراير ٢٠٠٧)، الدوحة، قطر.
٢. بسام حجار، ١٩٩٤، إنشاد المنادي، ترجمة المركز الثقافي العربي بيروت، الدار البيضاء.
٣. د. مصطفى القباح، ٢٠٠٦، التربية على المواطنة والحوار وقبول الآخر في التعليم الثانوي: تحليلات واتجاهات، مجلة علوم التربية، مطبعة النجاح الجديدة، العدد ٣٢.
٤. مصطفى حجازي، ١٩٩٠، ثقافة الطفل العربي بين التغريب والأصالة، منشورات المجلس القومي للثقافة العربية.
٥. د. كلثم علي الغانم، ٢٠٠٧، الثقافة والتحول الاجتماعي في الوطن العربي، ندوة التحولات المجتمعية وجدلية الثقافة والقيم، الدوحة، ٢٢ - ٢٥ يناير ٢٠٠٧.
٦. المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الإعلان الإسلامي حول التنوع الثقافي، ورقة (معمدة من قبل المؤتمر الإسلامي الرابع لوزراء الثقافة المنعقد في الجزائر في ديسمبر ٢٠٠٤).
٧. المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ٢٠٠٤، الإعلان الإسلامي حول التنوع الثقافي، ورقة (معمدة من قبل المؤتمر الإسلامي الرابع لوزراء الثقافة المنعقد في الجزائر في ديسمبر).
8. Encyclopaedia universalis, Vol, 9.
9. Jean-Claude Forquin. Ecole et culture le point de vue des sociologues britanniques, De Boeck Université, Paris, 1996.
10. Julia Kristeva, Le langage, cet inconnu, Seuil, Paris.